الحفاظ على البيئة

بين الواجب الشرعي والعقوبة الرادعة

تأليف الدكتور

عبدالعزيز بن سعد الدغيثر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى، خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأحسن كل شيء خلقه ثم هدى، أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه وأستغفره، وأصلي وأسلم على نبي الرحمة محمد بن عبدالله الذي ما ترك للأمة من خير إلا ودلها عليه وما ترك من شر إلا وحذرها منه. أما بعد:

فإن الكثير من الأسر تخرج للاستمتاع بروعة الطبيعة التي خلقها الله تعالى، فمن النعيم المعجل الخروج للبراري الخضراء والسير في رمال الصحراء مع اعتدال الأجواء كما أن بلادنا تنعم بالشواطئ الساحرة والجبال الشاهقة في تنوع بيئي يسر الناظرين ويفرح المتنزهين، إلا أن المتعة تنقلب حسرة عند رؤية ما تؤول إليه البيئة من إفساد من ضعاف

النفوس الذين لا يردعهم ضميرهم من ترك بقايا نفاياتهم، وتوسيخ كل مكان يحلون فيه.

ألا يردع هؤلاء ما ورد في الشريعة الإسلامية من تحذير الإفساد، وما ورد في الآيات الكريمات في ذم من كان مفسدا لبيئته؟

إن في شرع الله تعالى صلاح أحوال الناس وحل مشاكلهم، قال تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء". ومن أعظم مشاكل البشرية في هذه العصور المتأخرة المشاكل البيئية.

وفي هذه الكتاب المختصر تبيين لمنهج الإسلام في الحفاظ على البيئة، لعله الله أن ينفع به من لا يهتم ببيئته ونظافتها ونقاء هوائها وترابها.

وقد قسمت هذا الكتاب المختصر إلى الآتي:

التمهيد في بيان مفهوم البيئة

المبحث الأول: أهداف طرق موضوع البيئة في الإسلام

المبحث الثاني: تاريخ الاهتمام بالبيئة

المبحث الثالث: حقائق بيئية مذهلة

المبحث الرابع: أسس الحفاظ على البيئة في الإسلام:

وأخيرا، فهذا الكتاب سبق نشره ضمن كتيبات المجلة العربية، ووزع مع المجلة، وطلب مني إعادة نشره لاختصاره، فإليكموه كما هو، وأسأل اللّه أن ينفع به والحمد للّه أولا وآخرا.

الدكتور

عبدالعزيز بن سعد الدغيثر

asd@drcounsel.com

asd9406@gmail.com

www.drcounsel.com

التمهيد

في مفهوم البيئة

البيئة: (Environmental) هي كل ما حولنا ، أي كل ما في الأرض وما يحيط بها من أغلفة جوية تؤثر على نمط الحياة فيها ، وما تحمله في جوفها أو على سطحها من جمادات وأحياء في الهواء والماء وعلى اليابسة. عن البيئة الطبيعية- مها النعيم.

وعرفت خطة التنمية الوطنية السادسة (١٤١٥-١٤٢٠هـ)البيئة بأنها: الرصيد أو المخزون الأساسي للموارد الطبيعية المتاحة لمجتمع ما خلال فترة زمنية معينة للوفاء باحتياجات الإنسان. (عن النظرية الإسلامية لحماية البيئة-أحمد السناني).

وأهم مشكلاتها: (تلوث الهواء - تلوث الماء - التلوث الإشعاعي - التلوث الضوضائي - تلوث التربة - تلوث الغذاء ...الخ .)، وهذه المشاكل البيئية تحتاج إلى تظافر الجهود للحد منها ، كل في مجاله. وفي هذا البحث شيء من منهج الإسلام في الحد من هذه المشاكل البيئية.

المبحث الأول:

أهداف طرق موضوع البيئة

من أهم التطرق للكتابة في موضوع البيئة ما يلي:

١ ـ تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان المسلم عن طريق تزويده بالرؤية الصحيحة عن البيئة ومكوناتها بما يحقق دوره المطلوب في الأرض باعتباره مستخلفا فيها .

٢ ـ تنمية وتكوين القيم والاتجاهات والمهارات البيئية الإسلامية لدى الإنسان المسلم ، حتى يستطيع على ضوئها مواجهة مختلف صعابها بإرادة قوية ، ومن ثم استغلالها بصورة نافعة بما يحقق أهداف الإسلام .

٣ ـ تنمية قدرة الإنسان المسلم على تقويم إجراءات وبرامج التربية والتعليم المتصلة بالبيئة من أجل تحقيق تربية بيئية أفضل .

٤ ـ إيجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية المتفاعلة في البيئة لما فيه صالح الإنسان المسلم .

٥ ـ فهم الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والطبيعية وعلاقة الإنسان المسلم

بالقضايا والتلوث . عن التربية البيئية في الإسلام- دكتور صلاح عبد السميع عبد الرازق / كلية التربية / جامعة حلوان .

المبحث الثاني:

تاريخ الاهتمام بالبيئة

أما الاهتمام بالبيئة وقضاياها في الغرب عبر السياسات البيئية فحديث نسبيًا، وقد ظهر اصطلاح "علم البيئة" ecology عام ١٨٦٦ على يد عالم الحيوان الألماني إرنست هايكل. ويشتق اصطلاح "علم البيئة" ecology من الكلمة اليونانية oikos والتي تعني الموطن، وقد استخدمه هايكل للإشارة إلى "البحث في مجموع علاقات الحيوان ببيئته العضوية وغير العضوية ."ومنذ أوائل القرن العشرين عُرف "علم البيئة" بكونه فرعًا من فروع البيولوجي (الأحياء) يبحث في علاقة الكائنات الحية ببيئتها. ولكنه أخذ يتحول إلى اصطلاح "سياسي، ،"

منذ خمسينيات القرن العشرين استخدم اللون "الأخضر" ليشير إلى التعاطف مع الموضوعات والمشروعات البيئية، ومنذ أواخر سبعينيات القرن العشرين تبنى هذا الاصطلاح عدد متزايد من الأحزاب البيئية كان أولها الألمان الخضر (Die Grünen).

ومن أوائل الكتابات التي نبّهت إلى وجود أزمة بيئية متزايدة كان كتاب ريتشيل كارسون "الربيع الساكن"

(١٩٦٢)، الذي كان نقداً لما لحق بالحياة البرية وعالم الإنسان من أضرار من جراء الاستخدام المتزايد للمبيدات الحشرية والكيماويات الزراعية الأخرى، والمطالبة باستخدام رشيد للموارد الطبيعية خاصة تلك التي أوشكت على النفاد. (عن البيئة :من مركزية الإنسان والطبيعة.. إلى الاستخلاف -رانيا نبيل زهران- هبة رءوف عزت).

ويعتبر مؤتمر استكهولم في السويد المنعقد سنة ١٩٧٢م أول مؤتمر عالمي للبيئة الإنسانية، ولكن أهمها مؤتمر ريو دي جانيرو في البرازيل سنة ١٩٩٢م.

إن هذه الدعوات المخلصة الصادرة من المختصين لتستحق من المسلم أن يضع يده في يد كل مهتم بالبيئة، لموافقتها لمقاصد الإسلام، وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على حلف الفضول وهو حلف جاهلي لكنه قائم على العدل.

ونجد في بعض الكتب التراثية إشارات إلى اهتمام قديم بقضايا البيئة، فقد اهتم المسلمون منذ الفتوحات الأولى بصحة البيئة فيروي ابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦هـ نصاً في عيون الأخبار يبين عدم سكنى العرب المسلمين في المدائن وانتقالهم إلى الكوفة واتخاذهم لها

دار إقامة فيقول : لما اجتوى البلد العرب وآذاهم الغبار والذباب كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص "إن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء" وقد أشار عليه من رأى العراق من أعيان العرب (باللسان) وظهر الكوفة يقال له اللسان فكتب إلى سعد بذلك. وفي كتاب الحيوان للجاحظ في معرض حديثه عن الخنزير (لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم). ولما اشتهر حذق الطبيب الرازي رأى السلطان العباسي عضد الدولة أن يفيد من موهبته ونبوغه فاستشاره في بناء موضع البيمارستان العضدي (المستشفى) فذهب الرازي إلى نواح يطلب أصحها هواء وأطهرها جواً فعلق قطعة من اللحم في جهات مختلفة فالموضع الذي بقيت فيه قطعة اللحم أطول فترة دون أن تفسد فذلك هو المكان الصحي الذي اختاره لبناء البيمارستان العضدي.البيئة في الإسلام بين الفكر والممارسة -الدكتور مصطفى العلواني-مجلة قطر الخير.

كما نجد في قصة حي بن يقظان لابن طفيل (٤٩٤-٥٨١ هـ) إيحاء بشعور المؤلف بأهمية الحفاظ على البيئة، ففي ضمن القصة نجد أن حي بن يقظان لا يأكل النباتات والفواكه النادرة خشية انقراضها. ولا يترك العوائق والعراقيل تقف في وجه تطور النبات والحيوان، بل إذا وقع

بصره على نبات حجبه عن الشمس حاجب أزاله، أو تعلق به نبات آخر يؤذيه فصل بينهما أو عطش عطشا يكاد يفسده سقاه.

وإذا رأى حيوانا أرهقه سبع حال بينه وبينه ، أو تعلق به شوك، أو سقط في عينيه أو أذنيه شيء أزاله، أو كان ظامئا سقاه أو جائعا أطعمه، وإذا رأى ماء جاريا يعوقه عن ممره، لسقيا نبات أو حيوان حجر نحاه. (عن أصول الاقتصاد الإسلامي/٢٢-٢٣).

المبحث الثالث:

حقائق بيئية مذهلة

في المؤتمر العالمي الثاني للأمم المتحدة حول البيئة والتنمية عام ١٩٩٢م والذي عقد في ريودي جانيرو في البرازيل ، اجتمع ثلاثون ألف مشارك بما فيهم مئة زعيم ليواجهوا مجموعة حقائق رهيبة منها:

- انخفض إنتاج الحبوب في إفريقيا لكل فرد بمعدل ٢٨٪ في السنوات الخمس والعشرين الماضية.

- فقدت إثيوبيا ٩٠٪ من غاباتها منذ عام ١٩٠٠م، الأمر الذي مكن مليار طن متري من التربة الفوقية من الانجراف سنويا .

- تواجه حيوانات استراليا الأصلية الانقراض، وكان قد انقرض ٢٨٪ من حيواناتها الأصيلة .

- تحتاج الحياة البحرية في الخليج العربي ١٨٠عاما كي تتخلص من عشرة ملايين برميل من النفط التي انسكبت أثناء حرب الخليج .

- تعد ١٠٪ من الأنهار المنتشرة في أنحاء العالم ملوثة، كما تلتقط المحيطات ٦.٥ مليون طن من النفايات سنويا.

وهكذا تتنافس هذه القضايا الملحة على الاهتمام من قبل صناع القرار في العالم ، وبالإضافة إلى ذلك تتوقع الدراسات أنه بحلول عام ٢٠٢٥ م ستنفث البلدان النامية في الهواء أربعة أضعاف كمية ثاني أكسيد الكربون التي تنفثها الدول المتقدمة اليوم، كما يتوقع أن تفقد الأرض أكثر من ٢٥٪ من الأجناس الموجودة حاليا.

إن الإنسان في دول الشمال يستهلك من المياه ويولد من الملوثات بما يزيد عن عشرين ضعفا عن المواطن في دول الجنوب.

إن التلوث الذي يسببه مواطن أمريكي واحد يزيد على ذاك الذي يسببه مواطن عادي من دول العالم الثالث بعشرين إلى مائة مرة، ويماثل استهلاك الأمريكي الواحد للطاقة ما يستهلكه ثلاثة يابانيين، أو ستة مكسيكيين، أو ١٣ صينيا أو ٣٥ هنديا أو ١٥٣ بنغلاديشيا أو ٤٩٩ إثيوبيا.

كما تشير الإحصاءات إلى أن العالم قد خسر في عام واحد فقط، حوالي ٣٦ نوعا من الحيوانات الثديية،و ٩٤ نوعا من الطيور بالإضافة إلى تعرض ٣١١ نوعا آخر للخطر، أما الغابات فهي في تناقص مستمر بمعدل ٢٪ سنويا نتيجة الاستنزاف وتلوث الهواء المنتج للأمطار الحامضية،

وكذلك التربة فإنها تتناقص باستمرار بمعدل ٧٪ من الطبقة العليا كل عقد، وذلك بسبب الانجراف والتآكل بشكل مستمر نتيجة الإنهاك المستمر بالزراعة الكثيفة أو الري الكثيف، مما يؤدي إلى ملوحة التربة وتصحرها. عن التربية البيئية في الإسلام - دكتور صلاح عبد السميع عبد الرازق / كلية التربية / جامعة حلوان .

وفي بعض الدراسات أن احتياطات المعادن وفق التقديرات لن تدوم أكثر مما يتراوح بين ٤٠ و٨٠ سنة. وخلال ٥٠ عاما ستزول الغابات الاستوائية المطيرة التي من شأنها أن تنقي مناخ الأرض وتنظمه إذا ما استمر معدل التصحر الحالي، بالإضافة إلى ذلك فإن المصانع ومحطات الطاقة تلوث الأنهار والبحيرات والغابات التي تمد الإنسان بالغذاء والوقود والماء والموارد الحيوية الأخرى. وأخيرًا تمتلك التكنولوجيا الذرية القدرة على سحق الجنس البشري وتدمير الكوكب الذي يقله. عن البيئة :من مركزية الإنسان والطبيعة.. إلى الاستخلاف -رانيا نبيل زهران- هبة رءوف عزت.

وعلى سبيل المثال فإن الغابات الآن لا تغطي سوى ٢٤ مليون كم٢ من مساحة اليابسة بينما كانت مساحتها تتجاوز ٣٧ مليون كم٢، فاختل التوازن بين عناصر الطبيعة

وزالت التربة في كثير من الأماكن واختل تصريف الأنهار، وتأثرت موارد الأخشاب ذات القيمة، وزيادة الطلب على الأخشاب تلزم الإنسان بالحفاظ على الغابات وتنظيم استغلالها ولاسيما في الأقاليم المعتدلة الحرارة والتي تعد أكثر مناطق العالم إسرافاً في إزالة الغابات. وقد جاء في مؤتمر قمة الأرض <ريودي جانيرو> العام ١٩٩٢م، أن الغابات الاستوائية تفقد من أشجارها كل عام مساحة تعادل مساحة دولة النمسا، بينما يفقد العالم كله نحو ١٨ مليون هكتار من الغابات سنوياً (عبدالعظيم أحمد عبدالعظيم: الإسلام والبيئة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٥٤ باختصار).

ومن جهة أخرى هناك ما يزيد على ٩٠ دولة تواجه مشكلة التصحر حيث انخفضت إنتاجية أراضيها خلال عشرين عاماً بمعدل ٤٠٪ ويؤكد الخبراء أن احتمال نقص الأراضي القابلة للزراعة تصل إلى ٢٥٪ من الأراضي المزروعة في الدول النامية حتى العام ٢٠٠٠م (د. ممدوح حامد عطية: إنهم يقتلون البيئة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٧٣).

وتدل الأرقام التالية بوضوح على ما يلتهمه غول التصحر سنوياً من مقدرات الحياة الطبيعة:

-تدهور ٢١ مليوناً من الهكتارات من الأراضي الزراعية، بحيث أصبحت زراعتها غير مجدية اقتصادياً.

- يسبب التصحر خسائر اقتصادية تقدر بنحو ٢٦ ألف مليون دولار سنوياً.

- يقدر زحف الصحراء في السودان بنحو ١٠ كيلو مترات سنوياً كما يقدر معدل انخفاض الغابات في المغرب بنحو ٣٠ ألف هكتار في الفترة من ١٩٤٠م إلى ١٩٨١م، أما تونس فقد بلغ معدل انخفاض غابات الصنوبر بنحو ١٨٠٠ هكتار سنوياً (د. عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي: البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص ٥٩، ٦٠.وانظر أيضا :الإسلام وحماية البيئة النباتية بقلم حسن عبدالفتاح- مجلة الوعي الإسلامي.

أما طبقة الأوزون فتناقصت كمية الأوزون بنسبة ٣٠ إلى ٤٠٪ في طبقة الستراتوسفير السفلى في منطقة القطب الجنوبي، وتدل الأدلة العلمية على أن المواد الكيميائية المحتوية على الكلور والبروم لها دور في ذلك. وحتى نعلم خطورة وضع ثقب الأوزون يجدر بنا نوضح بعض المعلومات عن طبقة الأوزون. حيث يوجد في طبقة الستراتوسفير ٩٠٪ من أوزون العالم. ويتم فيها امتصاص ٩٩٪

من الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس لمنع ضررها على الكائنات الحية. والتعرض الزائد لهذه الأشعة يمكن أن يؤدي إلى إحداث خلل في الجهاز المناعي للجسم. وزيادة حالات الإصابة بالأمراض المعدية وانخفاض فعالية برامج التطعيم . كما أن انخفاض كمية الأوزون بنسبة ١٪ يؤدي إلى زيادة عدد الأشخاص المصابين بالعمى بنحو ١٠٠٠٠٠شخص سنويا، إضافة إلى ارتفاع عدد حالات الإصابة بسرطان الجلد بنسبة ٣٪ وإلحاق الأضرار بالنباتات والكائنات الحية الأخرى.(البيئة الطبيعية/٥٢-٥٣).

وقد كان للتقارير المخيفة عن الواقع السيئ للبيئة دور في توعية الناس مما أدى إلى تكوين بعض المنظمات الشعبية للحفاظ على البيئة. من أمثال ما ورد في تقارير منظمات دولية مثل تقرير الأمم المتحدة غير الرسمي "أرض واحدة فقط" (١٩٧٢م) وتقرير "حدود النمو" لنادي روما (١٩٧٢م) ومؤتمر ريودي جانيرو سنة ١٩٩٢م.

المبحث الرابع :

أسس الحفاظ على البيئة في الإسلام:

١-النهي عن الفساد والإفساد

وردت النصوص المحذرة من الإفساد ، وذم من كان مفسدا لبيئته، فقال تعالى: {وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد}(سورة البقرة: [الآية: ٢٠٥]وقال تعالى: "كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين"(البقرة:٦٠) وقال جل وعلا: "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس"(الروم:٤١). وبسبب ذلك فإن الدواب ترتاح من موت الفاجر، ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فقال: مستريح ومستراح منه. فقالوا: يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: " إن العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب" أخرجه البخاري. فالفجور نقمة على العباد والبلاد والدواب والعياذ بالله.

ويذكر التاريخ في هذا الصدد تلك الوصية العظيمة لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لجيوش الفتح المتوجهة إلى الشام ففي سنن البيهقي الكبرى عن صالح

بن كيسان قال: لما بعث أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام على ربع من الأرباع خرج أبو بكر رضي الله عنه معه يوصيه ويزيد راكب وأبو بكر يمشي فقال يزيد يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل فقال ما أنت بنازل وما أنا براكب إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله يا يزيد إنكم ستقدمون بلادا تؤتون فيها بأصناف من الطعام فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها وإنكم ستجدون أقواما قد حبسوا أنفسهم في هذه الصوامع فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم وستجدون أقواما قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد يعني الشمامسة فاضربوا تلك الاعناق ولا تقتلوا كبيرا هرما ولا امرأة ولا وليدا ولا تخربوا عمرانا ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ولا تغدر ولا تمثل ولا تجبن ولا تغلل ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز أستودعك الله وأقرئك السلام ثم انصرف" رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩/٩٠ – رقم ١٧٩٢٩.

٢-النهي عن الضرر والإضرار

ومن أسس الحفاظ على البيئة، النصوص العامة في النهي عن الإضرار بالآخرين، حتى إن من قواعد الفقه الكبرى

قاعدة: الضرر يزال، ومن أدلتها قول الرسول الكريم صلى اللّه عليه وسلم : ((لا ضرر ولا ضرار)) رواه مالك في الموطأ، كتاب [الأقضية]، باب (القضاء في المرفق)، رقم (١٤٦١). وابن ماجه في كتاب [الأحكام]، باب (من بنى فيما يضر بجاره)، رقم الحديث (٢٣٤٠)، قال في الزوائد: هذا إسنادٌ رجاله ثقات إلا أنه متقطع. كما رواه ابن ماجه تحت رقم (٢٣٤١) قال في الزوائد: في إسناده جابر الجعفي، متهم. ورواه أحمد في مسنده. إلا أن العلماء تلقوه بالقبول واعتمده أهل المذاهب الفقهية كلها.

٣-حفظ النفس والمال من مقاصد الإسلام العظام، ومن سبل المحافظة عليهما الاهتمام بالبيئة.

فقد حَفِظَ الإسلام للإنسان مقومات إنسانيته وهي: دمه، وماله، وعرضه، وحرم الاعتداء عليها، قال صلى اللّه عليه وسلم: ((كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)) رواه مسلم في صحيحه، كتاب [البر والصلة والآداب]، من حديث مطلعه ((المسلم أخو المسلم))، رقم (٢٥٦٤)، والترمذي في سننه كتاب [البر والصلة]. والمحافظة على البيئة محافظة على حياة الإنسان على المدى البعيد، كما أن فيه محافظة على المال العام للفرد والمجتمعات.

٤-المحافظة على وحدة التوازن الكوني،

إن اللّه خلق الأرض والسماوات وكل ما فيهما في توازن وتناسق وتآلف، وهذا من أدلة وحدانيته سبحانه. قال تعالى: " والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا في الميزان"(الرحمن:٧-٨)، وقال سبحانه: " قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"(طه:٥٠)، وقال جل وعلا: " والذي قدر فهدى"، وفي آية أخرى: " وكل شيء عنده بمقدار"(الرعد:٨)، وإنبات الزرع وإنزال المطر بميزان قال تعالى: " والأرض مددناها وأنبتنا فيها من كل شيء موزون، وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين، وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم" (الحجر:١٩-٢١). والإنسان مكلف بالمحافظة على وحدة وتوازن الأرض والاستعمال الرشيد لها. كما أن اللّه مكن للإنسان في الأرض قال تعالى: " ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون"(الأعراف:١٠).

٥-مكافحة التلوث وذلك بوسائل ثلاث جاءت في السنة :

الوسيلة الأولى: الحث على النظافة:

وقد جاءت الأوامر الشرعية بالنظافة. فاشترط التطهر بعد قضاء الحاجة والوضوء لأداء الصلاة والطواف وقراءة القرآن والغسل من الجنابة وغيرها من الأوامر الشرعية التي تجعل الملتزم بها نظيفا في بدنه طيب الريح منشرح

النفس. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتنظيف أفنية البيوت وساحاتها قال صلى الله عليه وسلم: "نظفوا أفنيتكم فإن اليهود لا ينظفون أفنيتهم" وفي رواية: "نظفوا ساحاتكم". والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع.

وإن تلويث المساجد وهو أكثر الأماكن العامة ارتيادا من الخطايا التي يجب الحذر منها لحديث أبي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ } رواه البخاري في الجهاد والسير برقم ٢٧٦٧ و مسلم في الزكاة واللفظ له ، وأحمد في المسند برقم ٧٨٣٦ و ٨٠٠٤.

الوسيلة الثانية: الحث على إزالة الأذى

فقد توعد الله من يؤذي الآخرين، فقال تعالى: " والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا"(الأحزاب:٥٨)، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))

رواه مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه في: كتاب [الإيمان]، باب (الإيمان شُعبُه وفضيلة الحياء)، حديث رقم (٣٥).

بل إن الأذى للمسلمين سبب للعنة كما في حديث حذيفة أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: "من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم" رواه الطبراني في الكبير وحسنه المنذري في الترغيب (٢٤٦) وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد(٢٠٤/١).

وإزالة الأذى سبب للأجر العظيم الموصل إلى الجنة بل إن هذا العمل اليسير الذي أخلص فيه صاحبه سبب المغفرة لرجل لم يعمل خيرا قط كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ نَزَعَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ إِمَّا كَانَ فِي شَجَرَةٍ فَقَطَعَهُ وَأَلْقَاهُ وَإِمَّا كَانَ مَوْضُوعًا فَأَمَاطَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ بِهَا فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ }رواه البخاري في الأذان برقم ٦١٥ وفي المظالم والغصب برقم ٢٢٩٢ ، ومسلم في الصلاة برقم ٣٥٣٨ و في البر والصلة والأداب برقم ٤٧٤٣ و ٤٧٤٤ و ٤٧٤٥ و ٤٧٤٦ و٤٧٤٨ أبو داود في الأدب ٠ والترمذي في البر والصلة برقم ١٨٨١ والنسائي في الأدب برقم ٤٥٦٤ و أحمد في المسند برقم ٧٥٠٥ و ٨١٤٢ و ٨٨٧٨ و ٩٢٩٢ و ٩٨٩٩ و ١٠٣٣٥ و ١٠٤٧٦ ومالك في النداء للصلاة برقم ٢٦٩ ٠ فهذا العمل سبب

لدخول الجنة كما في حديث أنس بن مالكٍ أنَّ شَجَرَةً كَانَتْ عَلَى طَرِيقِ النَّاسِ كَانَتْ تُؤْذِيهِمْ فَأَتَاهَا رَجُلٌ فَعَزَلَهَا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَتَقَلَّبُ فِي ظِلِّهَا فِي الْجَنَّةِ} رواه أحمد في المسند. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ عَلَى الطَّرِيقِ غُصْنُ شَجَرَةٍ يُؤْذِي النَّاسَ فَأَمَاطَهَا رَجُلٌ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ } رواه ابن ماجه في الأدب ٠

ونجد في التوجيهات النبوية تكرارا للحث على هذا العمل ليرتكز في نفوس المستمعين أهمية هذا الأمر ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ قَالَ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ } رواه الترمذي في كتاب الصلاة وابن ماجة في المساجد والجماعات برقم ٧٣٨. وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ

لَكَ صَدَقَةٌ وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ } رواه أبو داود في الطهارة ، وابن ماجة في الطهارة وسننها برقم ٣٢٣ ٠

إن مسألة الاحتساب في الاهتمام بالبيئة ونشر الوعي بأن نظافة البيئة مسؤولية الجميع أمر يحتاج إلى توعية ونشر بين الناس، وانظر إلى هذا الصحابي الجليل أبو برزة رضي الله عنه يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ قَالَ اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ } رواه الترمذي في البر والصلة٠

إننا بحاجة إلى جماعات من المتطوعين لإزالة الأذى عن الأماكن المرتادة كالشواطئ والطرقات والمتنزهات وبحاجة أكثر إلى تبيين أن هذا الأمر عبادة لله تعالى يحتسب فيه العبد الأجر عند كما يحتسب في صلاته وسائر عباداته.

الوسيلة الثالثة: الأمر بالالتزام بآداب قضاء الحاجة

وهذا مما يساعد كثيرا على الحفاظ على البيئة خصوصا في الريف، ومن المعلوم أن كثيرا من الأمراض تنتشر في الأرياف خصوصا بسبب عدم وجود أماكن لقضاء الحاجة، وقد جاء النهي من النبي صلى الله عليه وسلم عن

قضاء الحاجة في موارد الناس- أي الأماكن التي يرتادونها كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اتقوا اللاعنين[١]" قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: " الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم[٢]"[٣]. وفي حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد[٤] وقارعة الطرق والظل"[٥]. و عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْخِصْبِ فَأَمْكِنُوا الرَّكْبَ أَسِنَّتَهَا وَلَا تَعْدُوا الْمَنَازِلَ وَإِذَا كُنْتُمْ فِي الْجَدْبِ فَاسْتَنْجُوا وَعَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ فَإِذَا تَغَوَّلَتْ بِكُمُ الْغِيلَانُ فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ وَلَا تُصَلُّوا عَلَى جَوَادِ الطُّرُقِ وَلَا تَنْزِلُوا عَلَيْهَا فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ وَالسِّبَاعِ وَلَا تَقْضُوا عَلَيْهَا الْحَوَائِجَ فَإِنَّهَا الْمَلَاعِنُ } رواه أحمد في باقي مسند المكثرين. وعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُصَلَّى عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ أَوْ

---

١ قال المنذري: اللاعنان: يريد الأمرين الجالبين للعن. الترغيب والترهيب ١/ ١٨٥.

٢ قال الخطابي: والمراد بالظل هو ما اتخذه الناس مقيلا ومنزلا. الترغيب والترهيب ١/ ٢٨٦.

٣رواه مسلم(٢٦٩).

٤الموارد: أمكنة ورود الناس.

٥رواه أبو داود(٢٦) وله شاهد عن ابن عباس عند أحمد(١/ ٣٧١).

يُضْرَبَ الْخَلَاءُ عَلَيْهَا أَوْ يُبَالَ فِيهَا }رواه ابن ماجة في الطهارة وسننها وانفرد به ٠

كما ورد النهي عن البول في المغتسل في حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه" رواه مسلم (٢٨٢). بل ورد النهي عن تلويث الماء الجاري أيضا في حديث جابر أن النبي صلى اللّه عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الجاري. أخرجه الطبراني في الأوسط وحسنه المنذري في الترغيب (٢٥٢) وقال الهيثمي في المجمع(٢٠٤/١): رجاله ثقات.

٦- مقاومة الاستنزاف الشديد للموارد بمنع الإسراف والتبذير،

والنزعة الاستهلاكيةconsumerism لدى الكثير من الناس نوع من الإسراف والتبذير في الموارد والذي بدوره يزيد في تضخم مشكلة تدهور البيئة، لذلك وضع الإسلام قواعد تمنع أي هدر في أي مورد ، قال تعالى: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً}سورة الفرقان: ٦٧. وقال: {ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين}سورة الأنعام: ١٤١، وقال: {إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين} سورة الإسراء: ٢٧.

ويعد استنزاف المورد المائي من أخطر القضايا البيئية، وقد جاء التحذير من السرف في الماء في أحاديث خاصة إضافة إلى النصوص العامة الناهية عن التبذير والإسراف. فمن ذلك حديث: " لا تسرف ولو كنت على نهر جار" وقول النبي صلى اللّه عليه وسلم لسعدٍ وهو يتوضأ: ((ما هذا السرف يا سعد؟))، فقال أفي الوضوء سرف؟ قال صلى اللّه عليه وسلم: ((نعم، وإن كنت على نهر جار))[1] رواه الحاكم في الكنى، وابن عساكر، عن الزهري مرسلاً (كنز العمال ج٩/٣٢٧) وفيه ضعف. وقال صلى اللّه عليه وسلم لأعرابي سأله عن الوضوء، فأراه صلى اللّه عليه وسلم الوضوء ثلاثاً ثم قال: ((هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى أو ظلم))[2] رواه النسائي في سننه، كتاب [الطهارة]، رقم (١٤٠). وروى نحوه أبو داود، كتاب [الطهارة]، رقم (١٣٥)، وابن ماجه، كتاب [الطهارة]، وأحمد في مسنده (مسند المكثرين). وقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع.

فإن كان في الوضوء سرف وهو مدخل للعبادة، فكيف بالإسراف والتبذير الذي يتعدى حدود الحلال، والذي يُنَفَّذ بشكل واسع عند كثير من الأمم على مستوى الأفراد والجماعات والدول ؟! إن استهلاك الماء يوميا في المتوسط لعائلة مكونة من أربعة أفراد هو كالتالي:

- دورة المياه١٠٠ جالون.
- الاستحمام ٨٠ جالونا.
- غسيل الأطباق ١٥ جالونا.
- حوض المنافع٥ جالونات.
- حوض الحمام ٨ جالونات.
- نقاط المياه المتسربة ببطء من الحنفيات، تهدر كمية من المياه تتراوح ما بين ٥٠ و ٧٥ لترا يوميا.
- ويعتبر سيفون المرحاض المسبب الأكبر للهدر في المياه في معظم المنازل.(عن البيئة الطبيعية لمها النعيم /٣٧).

وهذا سرف شديد يحتاج إلى تظافر الجهود بين الجميع. فالأفراد مطلوب منهم أن يقتصدوا في المياه ويعالجوا التسريبات والعبث بهذه الثروة. ومطلوب من المصنعين والمستوردين عدم جلب ما لا يحقق غاية الترشيد في استهلاك الماء كبعض أنواع السيفونات. وعلى الحكومات ومقدمي خدمة المياه وضع أنظمة لمنع الاستهلاك الشديد للمياه ومحاسبة العابثين.

٧-حل مشكلة النفايات،

يلقى في المرامي كميات هائلة من النفايات في العالم. ويصل إنتاج الفرد من النفايات المنزلية في المملكة السعودية إلى حوالي ٣ كيلوغرام يوميا. وتحتوى هذه الكمية على ٢٨٪ ورق كرتون، ٣٦٪ بقايا أطعمة، ٧٪ معادن، ٦٪ مواد بلاستيكية، ٣٪ زجاج، ٤٪ جلود، ٣٪ سبخ، ٨٪ مواد أخرى. والمشكلة تكمن إلى أن هذه المواد تحتاج إلى مدد طويلة لتتحلل. فمثلا علبة المناديل تحتاج إلى ٦ أشهر لكي تتحلل، وتحتاج الجريدة إلى سنتين، وأكياس البلاستيك إلى ٤ سنوات، وقارورة البلاستيك إلى ٤ سنوات وكوب الفلين (ستيروفوم) إلى ٧٥ سنة، وعلبة الألومونيوم ٣٥٠ سنة وإطارات السيارات ٤٥٠ سنة. (البيئة الطبيعية/٤٦)

وجاءت الشريعة لحل هذه المشكلة بأمور:

أ-الحث على الصدقة، وألا يحقر المتصدق شيئا. وقد قال تعالى: " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره"(الزلزلة:٧). وروى ابن قتيبة عن الأصمعي أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لقط نويات من الطريق فأمسكها بيده حتى مر بدار قوم فألقاها فيه وقال: " تأكله داجنتهم"[1]. ورأى أبو الدرداء رضي اللّه عنه حبًا منثورا في غرفة له فالتقطه وقال: "من

١ نقله محقق الحث على التجارة/ ٤١، ونسبه لابن قتيبة في الغريب٢/ ٤١ وقال : إسناده منقطع.

فقه الرجل رفقه في معيشته"[١]. وتصدقت عائشة بحبة عنب وقالت لنسوة عندها: " هذا أثقل من مثاقيل ذر كثيرة" وذكر مثل ذلك عن عبدالرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم[٢].

ب-التدوير، والأمر به داخل في عمومات كالأمر بحفظ المال وعدم الإسراف ونحوها. ولإيضاح الدور الذي يقوم به إعادة التصنيع، يجب أن نعرف أن كل طن من الورق يعاد تصنيعه يوفر:

- ١٧ شجرة
- ٥٠٥ جالونات زيت
- ٢٨٠٠٠ وحدة حرارية
- ٧٠٠٠جالون ماء
- ٣ ياردات مكعبة من المرادم الصحية.(البيئة الطبيعية/٤٧).

٨-المحافظة على الحياة الفطرية

١ رواه وكيع في الزهد ٣/ ٧٨٢-٧٨٣ وقال محقق الحث على التجارة/ ٤٢ : سنده محتمل التحسين.

٢الأموال لأبي عبيد(٤٤٠) والزهد لأحمد(٢١٢) والزهد لوكيع(٣/ ٧٨٣-٧٨٤).

فقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنتهى الرحمة والشفقة بكل ما فيه حياة، فطور الإسلام علاقة الاحترام والعطف، حتى مع بقية الكائنات الحية سوى الإنسان، وفي ذلك حماية لمكونات أساسية في البيئة، وحفاظاً على النظام البيئي من التدهور، فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته؛ فرأينا حُمَّرة معها فَرْخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرة فجعلت تفرش، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها)) رواه أبو داود في سننه، كتاب [الجهاد]، رقم (٢٦٧٥) وفي كتاب [الأدب] رقم (٥٢٦٨).حُمَّرة: طائر صغير كالعصفور. ومعنى تفرش: ترفرف بأجنحتها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسك بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله فغفر له"، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً ؟ قال: ((في كل كبد رطبة أجر)) رواه البخاري كتاب [المساقاة]، رقم (٢٢٣٤). ومسلم كتاب [السلام]، رقم

(٢٢٤٤). بل إن شربة ماء لكلب كانت سببا في مغفرة ذنب بغي من بغايا بني إسرائيل كما في صحيح البخاري ومسلم.

وفي المقابل عذبت امرأة في هرة كما في الحديث الوارد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ امْرَأَةً عُذِّبَتْ فِي هِرَّةٍ أَمْسَكَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ مِنَ الْجُوعِ لَمْ تَكُنْ تُطْعِمُهَا وَلَمْ تُرْسِلْهَا فَتَأْكُلَ مِنْ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ وَغُفِرَ لِرَجُلٍ نَحَّى غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ} رواه الترمذي في تفسير القرآن برقم ٣١١٤ وحمد في المسند وكذلك برقم ٢٥٦٥٦.

وتعذيب الحيوان سبب للعن ،فعن سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا غِلْمَةٌ يَرْمُونَ دَجَاجَةً فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ مَنْ فَعَلَ هَذَا فَتَفَرَّقُوا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ يُمَثِّلُ بِالْحَيَوَانِ }رواه البخاري ومسلم.

وجاء الحث على رحمة الحيوان وأن فيه الأجر العظيم ، فقد قال صلى اللّه عليه وسلم: " من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه اللّه يوم القيامة" رواه البخاري في الأدب المفرد ، والطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦١) وفي الصحيحة (٢٧). وفي حديث قرة بن إياس مرفوعا: " والشاة إن رحمتها رحمك اللّه" رواه الطبراني وصححه الألباني في

صحيح الجامع (٧٠٥٥) والصحيحة (٢٦). ومن صور الرحمة للحيوان ما جاء في حديث خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيَرْضَى بِهِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا فَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا وَعَلَيْكُمْ بِسَيْرِ اللَّيْلِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لَا تُطْوَى بِالنَّهَارِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ عَلَى الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ وَمَأْوَى الْحَيَّاتِ }رواه البخاري في المساقاة برقم ٢١٩٦ ، وفي الشهادات برقم ٢٤٧٦ وفي الأحكام برقم ٦٦٧٢ ، وفي التوحيد برقم ٦٨٩٢ ، ومسلم في الإيمان برقم ١٥٧ ، والنسائي في البيوع برقم ٤٣٨٦ ، وأبوداود في البيوع برقم ٣٠١٤ ، وابن ماجه في التجارات برقم ٢١٩٨ وفي الجهاد برقم ٢٧٦١ ، وأحمد في المسند برقم ٧١٣١ و ٩٨٣٦.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْخِصْبِ فَأَمْكِنُوا الرَّكْبَ أَسِنَّتَهَا وَلَا تَعْدُوا الْمَنَازِلَ وَإِذَا كُنْتُمْ فِي الْجَدْبِ فَاسْتَنْجُوا وَعَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ فَإِذَا تَغَوَّلَتْ بِكُمُ الْغِيلَانُ فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ وَلَا تُصَلُّوا عَلَى جَوَادِ الطُّرُقِ وَلَا تَنْزِلُوا عَلَيْهَا فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ وَالسِّبَاعِ وَلَا تَقْضُوا عَلَيْهَا الْحَوَائِجَ فَإِنَّهَا الْمَلَاعِنُ }رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

وعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيَرْضَى بِهِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا فَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا وَعَلَيْكُمْ بِسَيْرِ اللَّيْلِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لَا تُطْوَى بِالنَّهَارِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ عَلَى الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ وَمَأْوَى الْحَيَّاتِ }رواه البخاري في المساقاة برقم ٢١٩٦ ، وفي الشهادات برقم ٢٤٧٦ وفي الأحكام برقم ٦٦٧٢ ، وفي التوحيد برقم ٦٨٩٢ ، ومسلم في الإيمان برقم ١٥٧ ، والنسائي في البيوع برقم ٤٣٨٦ ، وأبوداود في البيوع برقم ٣٠١٤ ، وابن ماجه في التجارات برقم ٢١٩٨ وفي الجهاد برقم ٢٧٦١ ، وأحمد في المسند برقم ٧١٣١ و ٩٨٣٦ ٠

ومن علل النهي عن البول في الجحر أنه قد يؤدي إلى إيذاء الحيوانات التي بداخله، فعن عبدالله بن سرجس رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبال في الجحر" رواه أحمد ٨٢/٥ وأبو داود (٢٩) والنسائي ٣٣/١.

وتقدمت وصية أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان عندما وجهه إلى الشام قوله: (ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة). وهذا عمر بن

الخطاب يقول وهو في المدينة المنورة: (لو هلك حمل من ولد الضأن ضياعاً بشاطئ الفرات، خشيت أن يسألني الله عنه). وإن هذا الإدراك في حقيقة الأمر تعبير عن حس إنساني سليم، وفهمٍ كامل لروح الإسلام في احترام مكونات البيئة، وسبقٌ في إعطاء المعلومات عن التربية البيئية، في وقت لم تكن البيئة تعاني من ضغوط عليها كما في هذه الأيام، ولم يكن هناك بعدُ أيّ ذكر لمعلومات تتعلق بالبيئة.

٩-المحافظة على جمال الطبيعة،

قال صلى الله عليه وسلم: " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون". وفي الحديث الآخر: " إن الله جميل يحب الجمال". فالإنسان مطالب بالمحافظة على هذا الجمال.

١٠-كبح جماح الهوى لأنه يورد للفساد،

قال تعالى: {ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن} سورة المؤمنون: ٧١ . والرغبة في الصناعات وتقليل التكاليف المترتبة على المعالجات البيئية أمر مغروز في النفس لحبها للمادة، ولكن لا بد من كبح لهذه الرغبات حفاظا على المصالح العامة.

١١-مسؤولية الراعي وولي الأمر

فقد روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية عن بيت بعلها وولدها وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[١]. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من أمير عشرة إلا جيء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه حتى يكون عمله هو الذي يطلقه أو يوبقه)[٢]. والفقهاء يذكرون مسؤولية الحاكم بشكل عام وهي سياسة الدين والدنيا للمسلمين ورعاياهم. إلا أن الماوردي كان أكثر تحديدا للمسؤولية، فقد ذكر في شروط إنشاء الأمصار: اعتدال المكان الموافق لصحة الهواء والتربة[٣].

---

١ رواه الشيخان واللفظ لمسلم كما في المختصر (١٢٠١).

٢ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٩٥ ، والدارمي ٢/ ٢٤٠ ، كما في المشكاة (١٠٩٢) .

٣ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك / ١٥٢-١٦٠ عن أصول الاقتصاد الإسلامي/ ٦٩.

كما أن الفقهاء ذكروا أن من صلاحية ولي الأمر(=الجهة الحكومية)تقييد المباح في زمان أو مكان معين، كمنعه من صيد طير معين (والصيد مباح في الأصل)، لأنه نادر ومن المرغوب المحافظة عليه من الانقراض، وقد يؤقت هذا المنع بمدة معينة يعود الحكم بعدها للإباحة. وقد يمنع من إلقاء القمامة أو النفايات السامة إلا في مواضع مخصصة لها. فالمطلوب من الحكومات الإسلامية سن الأنظمة التي تحمي البيئة من الفساد بتكوين اللجان المؤلفة من المتخصصين في البيئة مع أهل القضاء والفقه لوضع أنظمة عادلة تحمى البيئات ولا ترهق الشعوب.

١٢-مسؤولية المجتمع،

يقول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: ((مثل القائم على حدود اللّه والواقع فيها؛ كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَنْ فَوْقَهُم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)) رواه البخاري في كتاب [الشركة]، باب (هل يقرع في القسمة) حديث رقم (٢٣٦)،

ورواه الترمذي في كتاب [الفتن]، رقم (٢١٧٤) عن النعمان بن بشير. وبهذا يتحقق مبدأ الرقابة التي تسعى إليها التربية البيئية العالمية.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : { من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع بلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان } ، وفي ضوء هذه النصوص نجد أن من المتعين على المجتمع أن يتكاتف ضد من يفسد بيئته وينكر عليه بالطرق المتاحة، أو رفع أمره إلى السلطات لمنعه من إفساد البيئة.

١٣-الشعور بالأخوة وعدم الأنانية.

قال تعالى: {إنما المؤمنون إخوة}سورة الحجرات: ١٠. وقال أيضاً: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}سورة الأنبياء: ١٠٧. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب [البر والصلة والآداب] ، باب (نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً) ج٤/١٩٩٨-١٩٩٩ عن النعمان بن بشير. وأخرجه أحمد في مسنده ج٦/٣٧٨، حديث رقم (١٨٠٤٦). وفي حديث أنس مرفوعا: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" رواه البخاري (١/٥٣) ومسلم (٤٥).

وهذا يحتم على المسلم أن لا ينظر إلى مصلحته فقط كمن ينظف بيته ويلقي النفايات أمام جيرانه أو في الطرقات، أو يتلف المزروعات لغرض الترفيه والعبث.

١٤-الإكثار من الغطاء النباتي عبر أمور:

أ-الحث على الزراعة

فعن أنس رضي اللّه عنه: قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: ((ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً؛ فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة))(رواه البخاري (٦٠١٢) ومسلم (١٥٥٣)، وفي حديث جابر مرفوعا: " ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سُرق منه له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة" رواه مسلم (١٥٥٢). ويقول أيضاً: ((إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)) (رواه ابن عدي ج٦/٢٢٩٤، وعن جابر بن عبداللّه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليزرعها أخاه. رواه مسلم (١٥٣٦).

ب-إحياء الموات

وهذا التشريع الإسلامي فيه علاج لمشكلة التصحر؛ إذ إن من أسبابها إهمال الأراضي الزراعية. قال رسول اللّه صلى

اللّه عليه وسلم: ((من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه)) رواه البخاري في صحيحه، كتاب [الهبة]، رقم (٢٤٩٠)، عن جابر. فالمسلم مطالب بأن يزرع أرضه بنفسه، أو يتيح لغيره زراعتها دون مقابل، أو يعطي أرضه لمن يزرعها ويتحمل جانباً من نفقات الإنتاج مقابل شطر من الناتج، وهي المزارعة. وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: ((من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها)) رواه البخاري في صحيحه، كتاب [المزارعة]، رقم (٢٢١٠). ورواه أحمد في مسنده (باقي مسند الأنصار)، رقم (٢٤٣٦٢) عن عائشة. بلفظ: ((من عمّر...)). وهذا التشريع يحث الناس على الإكثار من الغطاء النباتي والتنمية الزراعية واستصلاح الأراضي، مما يساعد على القضاء على البطالة إضافة إلى الحفاظ على البيئة.

١٥-التذكير بنعمة التوازن البيئي،

يقول تعالى: " ألم تروا أن اللّه سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" (لقمان:٢٠). ودعاء اللّه أن يديم علينا هذه النعمة مع العمل الجاد على ذلك من هدي الأنبياء قال تعالى عن إبراهيم في سورة إبراهيم : "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد

غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" (إبراهيم :٣٧).

١٦- علاج التلوث الضوضائي بالنهي عن الإيذاء برفع الصوت،

لقد ارتفعت نسبة أمراض القلب والجهاز الهضمي والتوتر العصبي في العصر المليء بالضوضاء، وذلك بسبب تداخل مجموعة من الأصوات العالية الحادة غير المرغوبة ، مما يسبب الإزعاج للإنسان. (البيئة الطبيعية/ ٤٢). ومن النصوص العامة التي تأمر بالغض من الصوت قوله تعالى: " واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير"(لقمان:١٩).

١٧- معالجة وهم البعض بالاعتماد على التوكل عند طرق مثل هذه المواضيع،

وقد بين علماء الإسلام المفهوم الشرعي للتوكل: قال شيخ الإسلام في التحفة العراقية ما ملخصه: " التوكل المأمور به هو ما اجتمع فيه مقتضي التوحيد والعقل والشرع.

- فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد

- ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل
- والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع"[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " لا بد في التوكل من أمرين:

- الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتمادا صادقا حقيقيا.
- الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه. ومن جعل اعتماده على الله ملغيا للأسباب فقد طعن في حكمة الله لأن الله جعل لكل شيء سببا، فمن اعتمد على الله اعتمادا مجردا كان قادحا في حكمة الله لأن الله حكيم يربط الأسباب بمسبباتها كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج"[٢].

فالمبدأ الشرعي هو الأخذ بالتوكل لا التواكل، ويمكن النظر في حال النبي صلى الله عليه وسلم وهو

---

١ مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٥.

٢ القول المفيد ٢/ ٨٧-٨٨.

أعظم المتوكلين إلا أننا نجده يأخذ بالأسباب الظاهرة، فكان يتزود لسفره ويلبس ما يقيه في الحروب من درع ومغفر ونحوهما، وتعجب من بعض المسلمين حين يترك الأسباب ويقول: توكلنا على الله، وهذا سوء فهم للتوكل، وقد حج أقوام بلا زاد فنزلت: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" ولما حج بعض أهل اليمن بغير زاد وقالوا: نحن متوكلون، بلغ ذلك عمر فقال: كذبتم إنما المتوكل رجل ألقى حبه في التراب وتوكل على رب الأرباب[1].

فمن الخطأ أن نجعل المفهوم الخاطئ للتوكل شماعة نعلق عليها كسلنا وابتعادنا عن المسؤولية تجاه بيئتنا لأن الذي أمر بالتوكل أمر بفعل الأسباب.

أسأل الله أن ينفع بالجهود المخلصة لإصلاح الأمة. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١ نسبه صاحب كنز العمال ٤/ ١٢٩ إلى الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا في التوكل والعسكري في الأمثال والدينوري في المجالسة وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٢٣٨ إلى الحكيم الترمذي.ونسبه محقق الحث على التجارة / ١٤٢ إلى الدميري في حياة الحيوان١/ ٦٦٦ وبنحوه عند البيهقي في الشعب.

أهم المراجع

١-الترغيب والترهيب –للمنذري- تحقيق محيي الدين مستو ورفاقه- دار ابن كثير- الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

٢-رياض الصالحين للنووي- تحقيق شعيب الأرناؤوط- الطبعة الثالثة- مؤسسة الرسالة.

٣-صحيح الجامع الصغير- للألباني- المكتب الإسلامي.

٤-أصول الاقتصاد الإسلامي-د. رفيق يونس المصري- دار القلم- الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ..

٥-التربية البيئية في الإسلام للشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا

٦-التربية البيئية في الإسلام دكتور صلاح عبد السميع عبد الرازق / كلية التربية / جامعة حلوان.

٧-النظرية الإسلامية لحماية البيئة-أحمد السناني

٨-البيئة :من مركزية الإنسان والطبيعة.. إلى الاستخلاف -رانيا نبيل زهران- هبة رءوف عزت : دراسة مأخوذة من الأنترنيت

٩-البيئة في الإسلام بين الفكر والممارسة الدكتور مصطفى العلواني-مجلة قطر الخير

١٠- الإسلام وحماية البيئة النباتية بقلم حسن عبدالفتاح- مجلة الوعي الإسلامي

١١- البيئة الطبيعية- مها النعيم. أرامكو السعودية.